القابض على المسرح.. رغم الألم

عبد الله المناعي

رصع صفحات من تاريخ المسرح الإماراتي

منذ أربعة عقود مسرحية غنية وزاخرة بالمنجزات، وقامته الإبداعية تمشي بثقة وخفة شامخة ومتزنة وهي ترصع بالذهب صفحات تاريخ المسرح الإماراتي، هي ثقة الغارق في تفاصيل المكان، الباحث عن منطقة خصبة وخاصة ومتميزة لحلمه المسرحي العظيم، نسجه هذا الرائد فوق ذاكرة الخشبة المحلية، بين العام (١٩٧٥) حينما أطلق لطموحه الشاقّ العنان فوقف ممثلاً على الخشبة في مسرحية «أين الثقة»، والعام (٢٠١٠) الذي شهد على آخر أعماله المسرحية في مسرحية «مجرد دمى» مخرجاً.

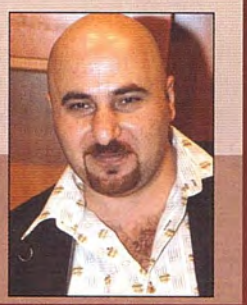

أحمد الماجد *

* العراق

> **مسيرته زاخرة بالمنجزات على مستوى الإخراج والتمثيل والتأليف**

ولد الممثل والمؤلف والمخرج المسرحي عبد الله عبد الرحمن عبد الله المناعي في العام (١٩٥٥)، وهو من الرعيل الأول، من رجالات المسرح المؤسسين الذين واكبوا مرحلة البدايات، وكانوا جزءاً مهماً وأساسياً فيها، من خلال نشاطه المسرحي الدؤوب في المسرح المدرسي، الذي شهد على بدايات المناعي ومرحلة بروز الموهبة ومن ثم تشكلها. حيث انطلقت حقيقة بداياته المسرحية في العام (١٩٧٥) بمسرحية «أين الثقة»، ومن ثم مسرحية «هارون الرشيد في القرن العشرين» في العام (١٩٧٦)، وبعدها مسرحية «شمس النهار» في العام (١٩٧٧)، ثم «المضحك المبكي» في العام (١٩٧٩)، ومسرحية «الفريج» أيضاً في العام نفسه، ليكون الموعد الإخراجي الأول في مسيرة المناعي الطويلة في العام (١٩٨٠)، حينما تصدى لإعداد مسرحية للكاتب العربي الشهير توفيق الحكيم، والتي حملت عنوان «مجلس العدل» تحت مسمى «دياية طيروها»، وكذلك تصدى لإخراجها، لتعلن هذه المسرحية عن طيران المناعي بجناحي الإخراج والتمثيل في فضاءات المسرح، حيث أخرج: «دياية طيروها»-(١٩٨٠)، «الرجل الذي صار كلباً»- (١٩٨١)، «السلطان»- (١٩٨١)، «الفخ»- (١٩٨٥). «الأعرج والمرأة»- (١٩٨٦) و«غلط غلط»، و«جثة على الرصيف»- (١٩٨٧). «كوت بومفتاح» و«ربشة في البقعة» - عام (١٩٨٨). وكذلك المسرحيات :الفيل يا ملك الزمان، للأرض سؤال، بطوط الشجاع، رصاصة داخل السوق، الغرباء لا يشربون القهوة، تراث الطفل، الشهادة، بس، هم، عسى خير، صرخة، كوكتيل، لو خاس الملح، جياد، الفنار، صك الباب، غلط، مجرد دمى والتي هي آخر ما أخرجه المناعي في العام (٢٠١٠).

بالإضافة إلى تجربة الإخراج والتمثيل، كان للمناعي نصيب أيضاً في التأليف المسرحي، فقدم المناعي مخرجاً أكثر من (٢٢) مسرحية، وفي التأليف خمس مسرحيات و(١٣) عملاً مسرحياً ممثلاً. وكذلك هو نجم في الدراما التلفزيونية (الوهم، شحفان، مشاكل الفريج، حادث الكورنيش، الوريث، وغيرها...) وكذلك الإذاعية (جحا، أم الدويس وغيرها..) التي شارك فيهما ممثلاً مثبتاً أنه فنان متعدد المواهب قادر على لعب كل الأدوار على اختلاف أشكالها. وحصل المناعي على العديد من الجوائز والتكريمات خلال رحلته في المهرجانات المسرحية المحلية والخليجية والعربية، أهمها تكريمه في المهرجان الثالث لمجلس دول التعاون الخليجي في أبوظبي في العام (١٩٩٣)، ومهرجان أيام الشارقة المسرحية في دورته السادسة في العام (١٩٩٤)، وكذلك مهرجان المسرح المحلي في العام (١٩٩٤)، إلى جانب تكريمه الخاص في مملكة البحرين في العام (١٩٩٥)، عن عرض مسرحية الشهادة، كما كرمته دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة ونال جائزة أفضل إخراج أيضاً في العام (٢٠٠٢) في مهرجان أيام الشارقة المسرحية. كما شارك ممثلاً في الفيلم السينمائي الإماراتي «عابر سبيل» وهو أول فيلم سينمائي روائي محلي.

من أعماله المسرحية

تتلمذ المناعي في بداية مشواره المسرحي وأخذ الكثير عن الجليلين المسرحيين الكويتي صقر الرشود والعراقي إبراهيم جلال، حيث شكلت تجربة اشتغاله مع هذين الرائدين، معالم وبوادر دخوله في عالم المسرح، عبر مدرسة الألماني برتولد بريخت، التي أخذها عنهما وانتهجها لفترة ليست بالقصيرة في سنيّ اشتغالاته على الخشبة. كذلك اشتغل المناعي مع الدكتور عوني كرومي والمنصف السويسي والمنجي بن إبراهيم وكذلك الدكتور جواد الأسدي وأستاذ المسرح العراقي قاسم محمد، الذي

> **من رجالات المسرح المؤسسين لمرحلة البدايات المبكرة**

صقر الرشود

عوني كرومي

أعماله تعكس منهجه الفكري وأسلوبه الفني ووعيه المسرحي

صال وجال مع مسرح الشارقة الوطني، وكان له مشروعه المسرحي وحلمه العظيم، ومكانته الخاصة والمميزة والمهابة في قلوب كل المسرحيين الإماراتيين منذ قدومه لأرض الإمارات وحتى وافاه الأجل. كل تلك التجارب شكلت لدى المناعي خزيناً هائلاً من المعلومات وذخيرة عظيمة من الخبرة، صنعت خطه المسرحي المميز ومنهجه الخاص به، وكذلك أورثت ذلك لتلاميذه الذين مشوا في دروبه وأخذوا منه، كمريده المسرحي البارّ النجيب محمد العامري، الذي مشى وفق رؤى المناعي وطورها وأعاد صياغتها على الخشبة.

تجسد الأعمال التي تبناها المناعي، منهجه الفكري وأسلوبه الذي تبناه في معالجة رؤاه الإخراجية على الخشبة، والتي عكست وعياً حقيقياً بقيمة المسرح ودوره، عبر التزامه بقضايا عصره بوصف المسرح فعلاً جاداً وحياتياً، بل فعل حياة أو موت، وربما لهذا السبب لم ينقطع المناعي عن المسرح، حتى بعد الوعكة الصحية التي ألمت به، وظل متمسكاً بالعطاء والتواصل رغم كل آلامه.

وتعد مسرحية «كوت بو مفتاح» (١٩٨٩) واحدة من الأعمال المفصلية في تجربة المناعي في التأليف والإخراج، وفيها أبدع

عبد الله المناعي

بريخت

جواد الأسدي

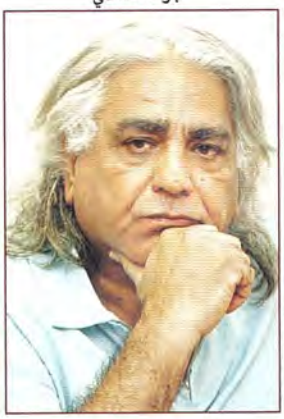

ابراهيم جلال

في تقديم همٍّ قديم في ثوب جديد وبتقنيات معاصرة على مستوى الكتابة المسرحية. وأنجز مفارقة مدهشة عن مجموعة من الغواصين الأقوياء، الذين صارعوا البحر وخاضوا في أعماقه غير مبالين بالمخاطر التي تنتظرهم في تلك العتمة المطبقة، ثم نراهم على الخشبة في دار للمسنين يتذكرون أيام الشقاء تلك، والمكافأة التي حصلوا عليها من أبنائهم، الذين رموهم للعزلة والوحدة والنسيان ليتذوقوا شقاء من نوع مختلف. إذ تميزت المسرحية أيضاً بالجرأة ووضعت يدها على المسكوت عنه اجتماعياً، ولامست منطقة معتمة لا يحبذ الناس الحديث عنها، وقدم المناعي من خلالها فرجة بصرية عالية في أكثر من مشهد، كما في تحول الطاولة إلى سفينة يدفعها المسنون بطريقة إيمائية، تعتمد الحركات التعبيرية لتوضيح مراحل الغوص، منذ يغادرون إلى البحر وإلى حين عودتهم، فيما النهام ينشد بصوت موجوع والإضاءة الزرقاء تتموج على الستارة البيضاء في خلفية المسرح. هكذا إذاً، في أول عمل له على مستوى التأليف، أفصح المناعي عن قدرات متقدمة، بمعايير ذلك الوقت، ونجح في توظيف أدواته البيئية لصوغ دلالات واقعية، أسهمت في تحقيق التواصل بين النص والجمهور، وجعلت من عمله واحداً من التجارب المفصلية في مسيرته الإبداعية، وعملاً نوعياً في مسيرة المسرح الإماراتي.

ولم تقتصر معالجة المناعي لأعماله على التراجيديا، بل سعى أكثر من مرة إلى تقديم الكوميديا الجادة، وطرق موضوعات مهمة في قالب فكاهي ونقدي، كما في مسرحية «ربشة في البقعة» في العام (١٩٨٨)، وقد عمقت اللهجة المحكية من التصاقها بالواقع وتشريحها لبقعة زيت «نفط» تناقلت الأخبار وقتها ظهورها، وسرعان ما باتت حديث السوق. وفي طريقه لا ينسى المناعي، أن يغمز ولو من بعيد إلى مسائل إشكالية مثل قضية العمالة الآسيوية الوافدة وخطورتها على قيم المجتمع وعاداته.

وظف أدواته البيئية في صوغ دلالات أسهمت في تواصل الجمهور مع المسرح

يقول المناعي عن تجربته الإخراجية وعن خياراته ورؤاه في المسرح: «اختياري لم يكن عبثاً.. هذا الاتجاه أيضاً هو مسرح، لكنه اتجاه يجعلك تتأمل أكثر، ويفتح باباً لخيال أوسع وليس اتجاهاً للركود، فيه التجديد والبحث الدائم في نواحي العمل وأدواته، وهذا ليس تقليلاً من شأن المذاهب والمدارس المسرحية الأخرى، لكن هذا الاتجاه يستفز أي مخرج لاستخدام كل أدوات البناء المسرحي، الإيماءة، الرمزية، والشكل».

ولم يتمكن العائق الذي أصابه في العام (١٩٩٤) حينما داهمت طريقه النوراني جلطة دماغية، حاولت إيقاف دورة عبدالله المناعي الإبداعية، إلا أنه وقف أمامها وتحدّاها وتجاوزها بعشقه العظيم لخشبة المسرح وبإصراره الكبير على مواصلة مشواره المسرحي الطويل، حيث عرفه أقرانه بالعزيمة التي لا تلين وبالصبر على عاديات الدهر وتقلبات الزمن. حيث أثبت أنه حتى في هذه الفترة العصيبة من حياته، لا يتوقف عن رفد الساحة بإبداعات مميزة.◆